لكن ما المرام من تعليم /تعلّم الفلسفة، الفلسفة أم التَّفَلسُف؟

- تساجل الفلاسفة حول التّساؤل المطروح فتباينوا في الطرح، حيث أجاب "كانط"[1] وهو الذي مارس تعليم التفلسف لسنوات لطلابه بإثارة لديهم فعالية الرّوح النّقدية، لذا "ينبغي أن يذهب التلاميذ إلى المدرسة، لا ليتعلموا الأفكار هناك، ولكن ليتعلموا التّفكير والسّلوك".
- بمقولات عديدة عبر مختلف محاضراته و مؤلفاته خاصة ثلاثية نقد العقل ("نقد العقل الخالص/ المحض"، 1781، "نقد العقل العملي"، 1788 ،"نقد ملكة الحُكم"، 1795)[2].

"On n'apprend pas la philosophie, on n'apprend qu'à philosopher ? "

" إنّنا لا نتعلّم الفلسفة بل نتعلّم فقط التّفَلسُف".

"إنّ التّلميذ الذي أنهى التّعليم المدرسي يكون قد تعوّد على التّعلّم. أمّا الآن فهو يعتقد أنّه سيتعلّم الفلسفة، في حين أنّ ذلك أمر مستحيل، إذ ينبغي عليه من الآن أن يتعلّم التّفلسُف "، لأنّ الفلسفة كما عبّر عنه القدماء « أم العلوم»، لأنّها ليست ذات موضوع واحد كباقي العلوم، بل تتّخذ من كل ثيمَة (آية) كونية موضوعا ماديا أو معنويا لها، لأجل التفكّر فيه وانتقاده.

---

[1] نقشت على عبارة من كتابه «نقد العقل العملي» يقول فيها «شيئان يملآن الوجدان بإجلال وإعجاب يتجددان ويزدادان على الدوام كلما أمعن التأمل فيهما: السماء ذات النجوم من فوقي والقانون الأخلاقي في صدري.

[2] كما كتب "ما هي الأنوار؟،" و"فكرة وجود تاريخ كلي انطلاقاً من وجهة نظر كوزموبوليتية".

- في كتابه "نقد العقل الخالص" كتب "كانط Kant" حتّى الآن لا يمكن أن نتعلّم أيّة فلسفة من الفلسفات، إذ أين هي؟ ومن يمتلكها؟، وكيف نتعرّف عليها؟، لا يمكن أن تعلّم سوى التّفلسُف". عبارات لدعوة صارخة لأولوية فِعل التّفلسف، وجعله هدفا تعليمياً أساسياً، بتنمية العقل والتّركيز عليه، لجعله قادرا على التّفكير الذّاتي عوض الاهتمام بمعرفة جاهزة. ممّا يستلزم تعليم ميكانيزمات التَّفلسف خاصّة التّساؤل، التّحليل والتّركيب، النّقد والاستنتاج، عوض الاهتمام بالمضامين الفلسفية من نظريات وتيارات وأطروحات ومواقف ومفاهيم. اكتساب مَلَكَة النّقد لأنّه كما يقول كانط "إنّ النّقد يُلهِمُنا لأوّل مرّة بالرّوح الفلسفية الحقيقية" . ذلك لأنّ دور العقل هو نقد العقل ذاته كما يقول "محمد أركون". فالمرام تحقيق التَّفلسف كمُمارسة وفعل مستمر. إنّها ممارسة التّفكير réfléchir والنّقد والتّأمل والتّفَكُّر حول معاني le sens وغايات الأشياء، وما وراء الطبيعة l'au-delà de la nature، بثلاثية "مالك بن نبي" التّفكُّر في عالم الأشياء وعالم الأشخاص وعالم الأفكار.
- لعلّ من أبرز ما برع فيه "كانط" في بداية حياته الفلسفية جوابه عن ما معنى التَّنوير؟ بالألمانية[3] Was ist Aufklärung ، حيث عرّفه بأنه "خروج الإنسان من حالة

[3] ورد في "لسان العرب" لابن منظور، التنوير هو وقتُ إسفار الصّبح، يُقال قد نوَّر الصّبح تنويراً، والتّنوير : الإنارة، والتنوير: الإسفار. ويقال صلَّى الفجر في التّنوير.اصطلاحا هو الاستخدام الفعال للعقل الإنساني في جميع القضايا، وتبني شعار"لا سُلطان على العقل إلاّ للعقل". فلسفياً : التّنوير Enlightenment/ Aufklärung حركة فلسفية، ثقافية وتاريخية أوروبية المنشأ بامتياز، نشطت خلال القرنين الثامن والتاسع عشر، حتى عرف بعصر التّنوير The Age of Enlightenment، ظهرت نتيجة معاناة المجتمعات الأوروبية من استبداد حكامها، إضافة لغطرسة الكنيسة وهيمنتها القصرية على الحياة (الاجتماعية، العقلية والفكرية والثقافية). تزعمها فصيل من الفلاسفة والعلماء آمنوا بقوّة الإنسان وقدرته الفكرية والعقلية على إدراك وفهم نواميس العالم، بل واخضاعه لحاجاته. رافعت بقوّة عن فلسفة العقلانية ومبادئها المتنوّعة، باعتبارها مصدر ومرجعية هامة لتأسيس نظام شرعي للمعرفة والعلوم والأخلاق. سبيلهم في ذلك اعتماد مبدأ التّجربة

القُصور التي يبقى هو المسؤول عن وجوده فيها "، ولكن، ما معنى ذلك؟. إنّه حالة عجز الإنسان عن استخدام فكره بمعزل عن الآخرين. فالقصور هو فقدان الحرية في التّفكير. **ولكن من المسؤول؟.**

- الإنسان القاصر مسؤول عن قصوره، لأنّ علّة ذلك ليست في غياب الفكر لديه، وإنّما في انعدام القدرة على اتّخاذ القرار وفقدان الشّجاعة في ممارسته دون قيادة الآخرين. ويرفع بعد ذلك كنت شعار التَّنوير عاليا، وهو «ليكن لديك الشّجاعة في استخدام عقلك بنَفسك». ولكن إذا كان الإنسان حرّا بفطرته فما سبب هذا التّخلي عن الحرية؟ . يجيب كانط « إنّ الخمول ، والجبن ، هما السّببان اللّذان يفسّران وجود عدد كبير من النّاس قد حرّرتهم الطّبيعة منذ زمن طويل لكنّهم ظلّوا قاصرين طوال حياتهم عن رِضا منهم، حتّى ليسهل على غيرهم فرض الوِصاية عليهم. وما أسهل أن يبقى المرء قاصرًا. فما الحاجة للبحث وتحمل عناؤه ما دمت قادرا على دفع الثّمن لكي يقبل الآخرون على هذه المهمّة الشّاقّة» (المطيري، 2011). ومنه يتمثل التّنوير هو انعتاق عقل المرء من حالة العجز الذّاتي[4].
- فردريك هيجل" لأنّ الفلسفة تفكير عقلاني "جدّي" يجب تعلّم الفلسفة أوّلا:
- اتّخذ "جورج فيلهيلم فريديرك هيجل Georg Wilhelm Friedrich Hegel " (1770-1831) موقفا مناقضا للتّصور الكانطي لذات الإشكالية، حيث قدّم انتقادًا لاذعاً لذلك، فكتب قائلا نقلا عن الأستاذ عبد الرحمان بدوي: " قد ارتكب

العلمية، الملموسة، بدل الاعتماد على الخيال والخرافات، كلّ ذلك لأجل تحقيق الحداثة والتّطور لمجتمعاتهم الأوروبية، من روّادها البريطاني "فرانسيس بيكون"، والألماني "كانط"....

[4] للاطلاع على النّص الكامل حول مفهوم التّنوير يمكن العودة لإجابة عن سؤال: ما هو التَّنوير؟ إيمانويل كانط / ترجمة: عبد الله المشوح على الرابط التالي: https://hekmah.org

كانط خطأ فادحا عندما أكّد أنّ المرء لا يتعلّم الفلسفة بل التّفلسف، كما لو أنّ المرء يتعلّم النِّجارة لا كيف يصنع مائدة أو كرسيا أو بابا أو مقعدا أو ما إلى ذلك.." وأردف في موضع آخر "يتم التّمييز في العادة بين المذهب الفلسفي وعملية التّفلسف ذاتها، هكذا، وبمقتضى هذا الوباء الحديث فإنّ موضوع التّعليم في الفلسفة ليس هو محتوى الفلسفة وإنّما هو التّفلسف، أي صورة الفلسفة، ومعنى ذلك أن نسافر دائما من غير أن نقف على المدن والأنهار والبلدان والشّعوب...". فالفلسفة حسبه "الفلسفة كمادة تعليمية، كعلم، ينبغي أن تدرس كباقي العلوم، وينبغي أن تدرس من خلال تاريخ الفلسفة كمحتويات، أي كتجليات للحقيقة". وفي رسالة أخرى إلى "فريديريك فيليب إيمانويل Friedrich Philipp Immanuel" كتب "لا يمكن إجراء أيّ تدريب شكلي بغير الشّيء وبغير المضمون، فلا يستطيع المرء التّفكير بلا أفكار ولا الإدراك بلا تصورات، إنّ الأفكار والتّصورات يجب تعلّمها". كما ذكر مجدّدا في رسالة إلى "كارل فرديناند فون رومر Carl Ferdinand von Roemer " (1818 -1891) "ولم تصبح تلك فكرة مسبقة، خاصّة بدراسة الفلسفة وحدها، بل باتت أيضًا فكرة مسبَقة، خاصّة بعلم التّربية ومؤدّاها، أولاً، أنّه حينما يعمد المرء إلى التّفكير بنفسه، فإنّ مادّة التّفكير نفسها لا تكون ذات بال، وثانياً أنّ التّعلّم يتعارض مع تفكير المرء بنفسه.."[5]. ليس بعيدا عن ذات السّياق يقول "مارتن هايدجر" (1889-1976) «عندما نسأل: ما الفلسفة؟... فالهدف هو أن ندخل في الفلسفة، وأن نقيم فيها ونسلك وفق طريقتها، أن نتحرك داخل الفلسفة لا أن ندور من الخارج حولها، أي أن نتفلسف»، إذن فالتّساؤل عن ماهية

[5]http://www.tafalsouf.com/pagephiloenseignement.htm

الفلسفة هو في حدّ ذاته فلسفة. والفلسفة باعتبارها عمل نقدي حول الوجود بكل أبعادها.

لكن، كيف نكتسب مَلَكَة التَّفلسف comment faire la philosophie ؟.

يعتقد "بسكال" "أنّ كلّ تَهجُّم عن الفلسفة هو في الحقيقة تَفلسف".

- يجمع آل التّخصص أنّ تعلّم فلسفة التربية كمنهاج تفكيري غير واضح الوصفات الفكرية، إذ لا يوجد كما يقول "John Wilkinson " وصفة سحرية خارقة لاكتساب التّفلسف في التربية، إذ الأمر لا يرتبط بمعارف تقنية ولا دراية فنيّة فقط (Wilkinson 1969. 153). بل بملكة التّساؤل الدّائم حول ما يجري، فكل الأشياء التي نعرفها تأتي من الأسئلة كما يقول "Neil Postman" (Postman, 2018, p. 173) و"لا أحد يستطيع أن يقول إنّ هذه أو تلك الطريقة هي الأفضل لمعرفة الأشياء، والشّعور بالأشياء، ورؤية الأشياء، وتذكر الأشياء، وتطبيق الأشياء، وربط الأشياء. في الواقع، فإنّ مثل هذا الادّعاء يعني التّقليل من أهمية التّعلمlearning، وتحويله إلى مهارة ميكانيكية لا غير" (Postman, 2018, p. 3). ومنه فالتّفلسف، هو التشكيك في معنى الحياة، وحقيقة الأشياء، وفواصل الخير والشر، والعدل ، والجمال ... مع العلمك أن هناك "موضوعات مميّزة ومفضلة des thèmes privilégiés في الفلسفة.فالسؤال الفلسفي يتساءل بصيغة: "ما **غاية..؟" (البحث عن الغاية)** “à quoi ça sert ?” (finalité) ، و**"ماذا يعني ذلك؟" (البحث عن المعنى** “qu’est-ce que ça veut dire ?” (signification). (LECOMTE, 2018). وعندما يتساءل

طفل/تلميذ "لماذا؟" أو "ما هذا؟" حول ما يكتشفه، فهو نوع من ارهاصات الفلسفة ، إنّه مُندهش ومستغرب ومتعجِّب مما يلاحظه.

أهم الثِّيمات المؤثِّثَة للفلسفية المعاصرة: لتيسير الأمر نقترح الجدول التّالي الملخص لأهم الثِّيمات والتّخصصات الفلسفية القائمة وأقول أهم لأنّ الأمر أوسع من ذلك.

بعض أسئلتها	الثِّيمَة
هل هناك حقائق غير مادية؟، هل الله موجود؟، هل الروح خالدة أم فانية؟ هل هي مادية أو غير مادية؟	الميتافيزيقيا وفروعها المختلفة Métaphysique
ما هي الحقيقة؟	نظرية المعرفة
ما معنى أن أكون؟ ما هو الكائن؟، لماذا يوجد بدلاً من لا شيء؟ ما أصل الوجود؟ من أين أتى البشر؟	الوجود
لماذا يوجد الدين؟ تحاول تعريف الآلهة وتطرح مسألة وجود الله، والتي تتضاعف مع استجواب حول طبيعة المقدس بشكل عام.	فلسفة الدين
ما الأخلاق؟ ما أصلها؟ هل هي نسبية أم كلية؟ ما الانضباط العملي والمعياري الذي يسمح بتحديد السلوك الأفضل لكل موقف؟ لماذا نعاقب؟ ما هي نهاية الأفعال البشرية؟، هل القيم العالمية الجيدة والشر تسمح بتحديد هذه الغاية؟ هل يمكن الحديث عن أخلاق دون الله؟	فلسفة الأخلاق
نعلم؟. هل يتوافق العلم مع الدّين؟. ما الذي يجعل المعتقدات المبرّرة مُبرّرة؟ . ماذا يعني أن نقول أنّنا نعرف شيئاً ما؟. تنقسم نظرية المعرفة لأربعة مسائل: 1. التحليل الفلسفي لطبيعة المعرفة ومدى ارتباطها بمفاهيم مثل الحقيقة، والمعتقد والتّبرير. 2. مشاكل ومواضيع التّشكيك المختلفة. 3. مصادر ومجالات المعرفة والمعتقدات المُبرّرة. 4. معايير المعرفة والتّبرير	نظرية المعرفة

من أين تأتي شرعية السّلطة؟، ما هو أفضل نظام سياسي؟، هل يمكن للأخلاق أن توجّه عمل السّياسي؟	الفلسفة السياسية
ما هي العلاقة بين القانون والعدالة؟، كيف تولد المعايير القانونية؟ ما الغاية الرئيسية للقانون؟ هل هي تعزيز الأخلاق؟	فلسفة القانون
ما الجمال؟، ما الفن؟ ما حدوده؟	الجماليات
هل العقل خاصية للحيوان أم للإنسان؟ ما علاقة الجسد بالعقل؟، كيف يعمل الإدراك؟	فلسفة العقل
ما المنطق وما آلياته وقوانينه؟	فلسفة المنطق
فلسفة العمل لماذا يبحث الإنسان عن الشغل؟ ما قيمته الأخلاقية، النفسية،..؟	فلسفة العمل
ما هو أصل اللغة؟، كيف تختلف اللغة عن أنظمة الاتصال الأخرى؟ ، ما العلاقات التي تحافظ على اللغة والفكر؟	فلسفة اللغة
فلسفة التربية ما التربية؟، ما أصلها؟ ما مرجعياتها؟ ما غاياتها؟ ما معنى إنسان متعلم؟	فلسفة التربية

- ✓ لتقريب الفهم أكثر تأمل الشّكل رقم 1 : مخطط عام للتّقاطعات والتّشاركات والتّمايزات الفكرية للفلاسفة الغربين D'après le livre de Luc de

Brabandere & Anne Mikolacjzak منذ الآباء المؤسّسين(Anne Mikolajczak, 2019) ، إذ يُمكِّن القارئ المبتدئ من فهم أيقونات وأعلام الفلسفة (أمّ العلوم) بالتدرّج والسّفر عبر خطوط الميترو الأربعة عشر المتمايزة اللّون والطول، حيث يوضح كل خط نمط معين من الفلاسفة والأفكار المتقاربة، فمثلا الخط 1 Philosophie يخترق وسط الخريطة أين يتشابك مع خطوط أخرى (رُوّاد ثيمات فلسفية خاصة)، خطٌّ يجب أن نسلكها للحصول على نظرة عامة أولية، حيث نلتقي بعمالقة الفكر، وأبطال التفكير، وأساسيات التجريد. تعد المحطات الموجودة على هذا الخطّ كلّ المعالم التي ستساعد المسافر في تنقلاته، تسمح باتصالات سهلة بالمفاهيم الفلسفية الأقل أهمية. مرورا بالخط 11 الإبداع Créativité التي تتقاطع مع كل الخطوط بل تتشابك معها أكثر من مرة، لأنّه مهما كان حقل التّفلسف لن يكون ذلك إلاّ بابتداع الجديد، ووصولا الى الخط 14 حيث فلسفة الفكاهة Humour والضّحك والسّخرية، باعتبارها سمة إنسانية أصيلة، وموضوع تأمّل فلسفي انشغل به عديد الفلاسفة من بينهم " Ludwig Wittgenstein" الذي صرّح ذات يوم لـ"كينز Keynes " كنت أتمنّى كتابة عمل فلسفي يتشكّل بالكامل من النُّكَت'[6].

[6] https://lesphilosophesdanslemetro.com/plan/wittgenstein/

الشّكل رقم 1: توزيع الفلاسفة عبر خطوط الميترو[7]

[7] ضرورة العودة للموقع التالي للتفصيل والفهم أكثر https://lesphilosophesdanslemetro.com/plan/

كخلاصة:

- يلحظ المتأمل في كلا التّصورين لرائدي الفلسفة الحديثة حول إشكالية التّفلسف أم الفلسفة؟، أنهما متكاملان، بل يتضمّن كلّ تصوّر الآخر، فلا تصوّر "كانط" المرافِع عن غاية التّفلسف على حساب الفلسفة، قد أوفى بذلك، إذ لا يمكن تعلّم التّفلسف دون الفلسفة، ومضامينها ومفاهيمها ونظرياتها، فالتّفلسف يفضي لا محالة لبلورة رؤية فلسفية معيّنة، ونفس الأمر بالنّسبة لهيغل إذ لا يمكن إدراك الفلسفة إلاّ بالمرور بالقوّة على آليات وممارسات التّفلسف، وقوانينها من التّحليل والتّركيب والاستنتاج... لنسج ورسم معالم نموذج فلسفي بعينه.
- الفلسفة ملَكَة إنسانية واستجابة فكرية لمتطلبات وتساؤلات الفرد والمجتمع حول الكون، الإنسان، الحياة ومتطلباتها، دور البشر،... ما يجعلها تتموضع كمراجعة ومساءلة نقدية مستمرة لأفعالنا ومعارفنا وقناعاتنا وتصوراتنا، الفردية والجماعية. إنّها التدَّبُر الفكري والنّظري المستمر للوجود وما حوى وللحياة وما كشفت، حيث تكمن وظيفتها الأساسية في تنمية الوعي لمستوى الوعي بالذّات/النَّحن، بغية الوعي بالصّعوبات والتّحديات والرّهانات، ذلك أنّ أهميتها لا تكمن في مادّتها ومضمونها بل في قدرة اكتساب وتنمية عادات فكرية وذهنيّة متعلقة بفهم وتحليل المعرفة والمحيط ونقده لأجل تحسين حياة الإنسان الدّنيوية والأخروية. ومنه يمكن القول أنّ الفلسفة ممارسة عقليّة واعية ويقِظة.
- وفق المبادئ الأساسية للفلسفة التحليلية يعتقد "برتراند رسل Bertrand Russell" أنّه إذا أردت أن تعرف شيئا ما وجب عليك معرفة كلّ صلاته، ذلك

لأنّ مهمّة الفيلسوف الرّئيسية توضيح كلّ ما هو افتراضات عن العالم عبر تحليل جميع الخواص (رسل، 1978). فالفلسفة ضمن التّعريفات القائمة ليست مجموعة معارف، بل " نشاط نقدي وتَوضيحي" يمكن أن يتناول أيّ موضوع، بما في ذلك التّربية. هذا ما أكّده "D. John O'Connor" بأنّ الفلسفة لم تعد مجموعة من الحقائق من النّوع الإيجابي كالتّاريخ أو القانون أو الطّبيعة، ولكنّها أصبحت نشاطاً يرمي إلى النّقد والتّوضيح"(O'Connor, 2016) .

تنبيهات فلسفية:

1. رغم ما يشاع حول "أصل الفلسفة الأوروبي" وهيمنتها على الحقل الفلسفي من خلال عديدي المذاهب والتّيارات، يبقى أن نشير كما أكّده الفيلسوف السِّنغالي " Léopold Sédar Senghor " إنّ من الخطأ الاعتقاد أنّ الفلسفة اختراع أوربي أوجدته المعجزة اليونانية. الممارسة الفلسفية غُرسَت في جسد الإنسان انطلاقا من اللّحظة التي دَفن فيها موتاه، وتساءل حول معنى الحياة، وزيّن الأضرحة بالأعمال الفنيّة. جميع الثّقافات، بما فيها الثّقافات الشّفويّة، لها حظّها من هذه القدرة الفلسفيّة الخالصة، والتي تخوّلها اتّخاذ المسافة من تراثها وإخضاعه للنّقد. وهكذا، وعلى عكس الفكر الإفريقي الذي يجعل الفرد ضمن العشيرة، فإن 'ميثاق ماندي' المعلن في الإمبراطورية المالية القديمة في القرن الثالث عشر قد نادى بالحقوق النّاجزَة للفرد، مخاطبا 'العالم' ككل (سليمان بشير ديان، ترجمة: محسن الزكري، 2020).
2. حول عثرات وانزياحات التّمركز الفلسفي الغربي، وتناسيه لإسهامات الفلسفات غير الأوروبية، خاصة الإسلامية منها، في سنة 1947 طرح المفكر والفيلسوف الفرنسي "روجيه غارودي" على المفكر الجزائري "مالك بن نبي"

السّؤال التالي: **لماذا الحضارة الغربية مستمرّة بينما الحضارة الإسلامية انتهت؟** . فأجابه بن نبي: "لماذا ؟! ..لأنّ في ثقافة الغرب ثُقباً ذا مساحة كبيرة تمُرّ به دون أن تدري، ولذلك أنت تحكم هذا الحكم، فأنت منذ طفولتك تدرس أنّ الحضارة ابتدأت في أثينا، واستمرت ستّة قرون إلى أن وصلت لروما، وانتهت في القرن الخامس الميلادي. لو وضعت هذا المقياس على محور التّاريخ ترى أنّ الثّغرة ما بين 450 إلى 1453 هي تقريباً ألف سنة. أنتم تعتبرونه فراغاً في التّاريخ، ولكنّها هي بالضّبط الحضارة الإسلامية، فلو عزلنا الحضارة الإسلامية أو الحضارات القديمة عن الحضارة الحديثة لا يمكن أن يكون لهذه الحضارة من أُسس تقوم عليها. إلاّ إذا كان بالإمكان أن تقوم الحضارة على العبث.."!.

يقول بن نبي: "استحى غارودي من سؤاله حين أجبته"!.

ومن بعد أقرَّ غارودي بوجود ذاك الثّقب المعرفي في رأسه حتّى وهو يحمل أعلى الدّرجات العلمية.

وقد جاء ذاك الإقرار في وصيته الفلسفيّة الّتي كتبها، بعد ثمانية وثلاثين سنة من سؤاله لبن نبي (1985)، تحت مسمى "مذكرات القرن العشرين".

التي يقول في الفصل الأوّل منها: "أنهيت دراستي الفلسفية، وحصلت على كل الدّرجات ليسانس، الأستاذية، دكتوراه دولة، مع بقائي في جهل مطبق بالفلسفات غير الغربية"!. ما قام به مالك بن نبي سنة 1947 هو سدّ الثّقب المعرفي في رأس غارودي، وإن لم يقرّ هذا الأخير بشيء من الفضل في ذلك لمالك! ومن لحظتها بدأ عقل "غارودي" يمتلئ شيئاً فشيئاً بالإسلام إلى أن فاض بإعلان الشّهادتين سنة 1982.